وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت /كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ/مرحلة ثالثة

المادة الحضارة الإسلامية

الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي الاسلامي

إعداد

م.م. كمال أحمود عبطان عريعر الطريمشاوي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

الحياة الاجتماعية

عناصر المجتمع :

لقد كان النظام الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام يستند اساساً الى القبيلة وهي مجموعة من الناس ينتمون ، أو يعتقدون أنهم ينتمون من الى أصل واحد مشترك ، ويسكنون في العادة منطقة واحدة وينتقلون سوية. وتختلف القبائل من حيث عدد افرادها ، فبعضها صغيرة جدا ، والبعض الآخر كبيرة ، وهذه الاخيرة غالبا ما تقسم الى اقسام تدعى العشيرة والبطن والفخذ والفصيلة والرهط والحي ، ولكن حتى هذه الاقسام يصعب تحديدها بدقة.

وكانت القبيلة تتكون من العرب الصليبة والحلفاء والعبيد ، فالعرب الصليبة هم الذين ينحدرون من أصل واحد مشترك وكانوا يعتبرون انفسهم متساوين ، نظريا على الاقل ، وان اختلفوا في المروءة والشرف.

اما الحلفاء فهم ليسوا منحدرين من الاصل المشترك للقبيلة ولا يرتبطون معها برابطة الدم ولكنهم لجأوا الى القبيلة واحتموا بها ، وقد يكون الحليف فردا او قبيلة . ويكفي للفرد ان يدخل خيمة رجل او يمسك حبل الخيمة ، وكان على رجل القبيلة أن يحميه ويدافع عنه ولكن يجوز له كذلك ان يفسخ الجوار متى شاء على ان يعلن ذلك ويعطي الدخيل مهلة لتدبير أمره.

اما العبيد فكان اغلبهم من أسرى الحرب ، كما ان بعضهم كان يأتي عن طريق الشراء او الولادة أو الدين، وكانوا يعملون في الاعمال اليدوية ولا يشتركون في الحروب . ولما كان الرق الناتج عن الاسر له حالة خاصة ، لذلك فان معاملة أسرى الحرب كانت حسنة كما انهم يفتدون ويبادلون اذ ان من العار على القبيلة ان تترك افرادها المأسورين أرقاء عند القبائل الاخرى.

وقد كان المجتمع البدوي يتبع نظام الابوة ، فكان للرجل السيادة والسلطة على البيت ، ورغم هذا فقد كان للمرأة مكانة كبيرة بالإضافة الى انجاب الاولاد واعمال البيت كما كانت تضمد الجرحى في الحروب وتزود المقاتلين بالزاد والماء وكانت حمايتها والدفاع عنها من المروءة ولا يجوز رفض من يستجير بها.

ولكنها من ناحية اخرى كانت تفرض على الرجل اعباء ، كأعالتها والمحافظة عليها من الاعتداء مما أدى بالبعض الى عدم الارتياح لولادتها، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك وقد دفع هذا بالبعض الى ان يئد البنات تخلصا مما قد يلقينه عليه من مسؤوليات.

هذا ولم تكن عادة الوأد تمارس بين القبائل العربية جميعا بل اقتصرت على بعض البطون من تميم بصورة خاصة وقد كان لهذه العادة اسباب بعضها اقتصادية وبعضها الآخر اجتماعية املتها ظروف الحياة البدوية آنذاك. وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك ((واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه بالتراب)) ((ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)) ((ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)) وقد ابطل الاسلام هذه العادة وندد بها فقد ورد في القرآن الكريم ((واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت)).

على ان الوأد ليس دليلا على عدم احترام العرب للمرأة فقد كان بين الآلهة بنات ، وكان للمرأة حقوق كثيرة ، فلها حق التملك ، كما انها كانت تستشار في الغالب عند زواجها ومع للرجل حق الزواج باكثر من واحدة وربما كان السبب في ذلك الرغبة في تكثير اعدد الأولاد كما كان للرجل الحق في امتلاك ما شاء من الاماء ، ولكنهن أقل مكانة من المرأة الحرة.

اما في صدر الاسلام والعصر الأموي فكان المجتمع يتكون من العناصر التالية:

أولاً: العرب

وكانوا في الجزيرة العربية واطرافها وهم سكان الجزيرة العربية والوطن العربي اضافة الى رجال الجيش والقبائل الذين انتقلوا مع حركة الفتوح خارج حدود الأرض العربية وقد زاد الاسلام من عزة العرب وخلق منهم أمة واحدة وكانوا يتميزون بسبقهم في الاسلام وخدمتهم له ، وقد ظلت السيادة فيهم طوال عصر الراشدين – صدر الاسلام ــ والعصر الأموي ، ولكن عندما كثر دخول الاعاجم في الاسلام خشيت الدولة ، وخاصة في العصر الاموي ، على العرب من الضياع والاندماج في العناصر الاجنبية فقدموا العرب ولم يستعملوا الموالي في وظائف الدولة على نطاق

واسع وابتعدوا عن الزواج بغير العربيات . وقد حرم بعض اولاد الخلفاء من الوصول الى الخلافة لان امهاتهم لم يكن عربيات . كما استوطن العرب في الاقطار المفتوحة ، وأرسل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان العيالات العربية الى خراسان وسكنت جاليات عربية في معظم البلاد التي كانت ضمن الامبراطورية الفارسية ، وساد العرب على غير العرب وانتشرت اللغة العربية بينهم كما نقل الامويون الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية كما ضربوا النقود العربية ولكن العصبية القبلية ما لبثت ان نشطت في مجموعتين كبيرتين : عرب الشمال (القيسيون) وعرب الجنوب (اليمانيون) . وربما كان لسياسة بعض الخلفاء الأمويين دور في اذكاء الخلاف بين الفريقين وكان اسباب ضعف الأمويين وانهيار دولتهم.

ورغم ان العرب لم يفقدوا نفوذهم السياسي والاداري في العصر العباسي الاول الا ان عناصر أخرى شاركتهم في الحكم وخاصة الموالـــي واظهر العرب نوعا من التساهل في مسألة العنصر ولذلك فقد نشاهد في هذه الفترة الخلفاء العباسيين يتخذون نساء غير عربيات من أصل فارس وتركي او رومي وان كان هذا قد بدأ في الواقع في اواخر العصر الاموي حيث كان كل من الخليفة يزيد الثالث وابراهيم ومروان الثاني من امهات غير عربيات ولكن الخلفاء من الناحية الاخرى نظروا الى العناصر المختلفة في المجتمع آنذاك نظرة تعتمد على مدى اخلاصها وولائها للخلافة فكان التنكيل جزاء كل من سولت له نفسه ان يقف بوجه الدولة أو يتحرك ضدها . على ان اشتراك العناصر الاجنبية في الحكم مع العرب خلال العصر العباسي أدى الى التناقض بينهما فكثر التفاخر بين العرب والموالي واخذ الفريقان يتباريان في تفضيل احدهما على الآخر ، حتى نشأ نتيجة لذلك ما يسمى بـــ « الشعوبية » كرد فعل من جانب الاعاجم ضد العرب وقد تصدى لهم كثير من كتاب العرب وعلمائهم كالجاحظ وابن قتيبة وردوا عليهم وفندوا حججهم.

كما تميز هذا العصر باتجاه العرب الى امور اخرى غير الأمور السياسية والادارية مثل الامور العلمية وشؤون التجارة والزراعة والصناعة بعد ان كانوا يترفعون عنها . ولكن العباسيين وآل البيت عامة كانوا يعتبرون ارفع الناس مكانة وقدرا وكان يطلق عليهم الاشراف ، وكان للعباسيين والعلويين نقيب من كبار رجال بني هاشم يعينه الخليفة ثم صار بعد ذلك لكل فريق منهم نقيب

خاص وكان الرجل منهم يخاطب بالشريف ، وفي عام ٢٠٩هـ كان عدد العباسيين ثلاثة وثلاثين الفا . اما الطالبيون فكانوا ألفين وسبعمائة فقط . وكان الذي يتولى الحج في الناس كل عام أمير من الهاشميين اما عباسياً او علوياً ، كما كانت تسند للهاشميين ايضا إمامة المساجد الجامعة ايام الجمع والاعياد وكان يجري على مشايخ الهاشميين راتب خاص

ثانيا :الموالي

هم المسلمون من غير العرب الذين دخلوا في الاسلام بعد انتشاره واتساع رقعة الدولة العربية وقد ظهر منهم كثير من العلماء والمحدثين والفقهاء ولكن اكثرهم ولد في بلاد عربية ونشأ نشأة عربية وحذق في اللغة العربية وآدابها أكثر من معرفته بلغته الاصلية . ولهذا فمن الصعب ان نستعمل الاساس العنصري بالنسبة لهم بل يجب ان نصنفهم بحسب بيئتهم وثقافتهم لا بحسب جنسهم واصلهم وقد ظهر بينهم وبين العرب بعض التناحر وخاصة في العصر الاموي ولو ان الامويين استخدموا في اواخر ايامهم الموالي في الوظائف الادارية ، كما حاول بعض الخلفاء ان يخففوا عنهم بعض الاعباء الاجتماعية والاقتصادية كما فعل الخليفة عمر بن عبدالعزيز على سبيل المثال . وقد نبغ منهم الكثير في العصر العباسي خاصة بالعلوم والآداب ، وسكنوا الامصار العربية كالكوفة والبصرة والفسطاط والمدينة وبغداد ودمشق . ولعل نبوغ الموالي في العلوم يعود الى انهم انصرفوا في الفترة المبكرة من عمر الدولة العربية الى النواحي الثقافية بينما كان العرب منشغلين بالسياسة والحرب.

ثالثاً : أهل الذمة

يراد بأهل الذمة اليهود والمسيحيون الذين عاهدهم المسلمون ، ولذلك يطلق عليهم (المعاهدون) ، وقد تمتعوا بنوع من الحرية والتسامح الديني حيث مارسوا طقوسهم الدينية وخضعوا في امورهم الشخصية الى رؤسائهم الروحانيين وقد عاملهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معاملة حسنة فجعل مثلا دية المعاهد كدية المسلم وكان كل ذمي يدفع جزية مقدارها دينارا واحدا في السنة. اما في عصر الخلفاء الراشدين فقد قسمهم الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» الى ثلاث طبقات فكان الغني يدفع نحو اربع دنانير سنويا والوسط دينارين والفقير دينارا واحدا وقد شغل

أهل الذمة في العصر الاموي وخاصة المسيحيون منهم مناصب مالية مهمة فيما عدا فترة خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أصدر أوامره اهل الذمة في الوظائف . وقد أبدى المسلمون تسامحا تجاه المجوس ووثني حران والبوذيين وعاملوهم معاملة اهل الذمة.

وقد استمر اهل الذمة يدفعون الجزية في العصر العباسي العصر الأموي وكانت تدفع بشكل اقساط ويعطون وصلا مختوما بالمبلغ يطلق عليه اسم (براءة). وقد امتهنوا في هذا العصر ا والجهبذة ومارسوا الاعمال التجارية والكتابة والطب ، وقد أنشيء ديوان خاص للنظر في امورهم هو ديوان الجوالي ، يتولاه رجل من المسلمين ، وكان يطلق على رئيس المسيحيين اسم ((الجائليق)) ، اما رئيس اليهود فيطلق عليه ((رأس الجالوت))

على ان أهل الذمة تعرضوا في فترات قليلة جدا الى نوع من القيود ، كتحديد نوع ملابسهم او الاستغناء عن خدماتهم في دواوين الدولة ، وكان ذلك استثناء وليس قاعدة وقد فرضته في كثير من الاحيان الظروف السياسية وموقف اهل الذمة منها بصورة خاصة

رابعاً : الرقيق

لقد كان الرق معروفا قبل الاسلام وقد عرفته الحضارات القديمة ومارسه الفرس والروم . وكان مصدره الاسر في الحروب او الشراء . ولما حرر العرب م البلاد التي فتحوها من سيطرة الفرس والروم تحول معظم الارقاء باعتناقهم الدين الجديد الى الحرية او اصبح معاهدا اذا ما قرر الاحتفاظ بدينه وقد بدأ عدد الرقيق من أسرى الحرب بالازدياد في زمن الامويين بسبب ما جلبته حروب التحرير العربية من الاسرى . وقد كان الولاة والقواد يرسلون بخمس هؤلاء الى الخليفة ويوزعون الاربعة اخماس الباقية على الجند . ولم يكن مصدر الرقيق من الحرب فقط بل كان بباع بصورة اعتيادية في اسواق النخاسة التي كانت منتشرة في بعض المدن يستخدمون في الزراعة والحرف الاخرى والخدمة في البيوت وقد دعا الاسلام الى الغاء الرق ولكن بصورة تدريجية اذ خفف منه وحث على تحريره وحسن معاملته كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية

الشريفة ، فجعل تحرير الرقاب كفارة للذنوب كما كان البعض يعتق عبيد كرما منه أو لقاء مبلغ من المال ويكون هذا بعقد مكتوب او بصورة شفوية ويشهد عليه رجلان او قد يمنح العبد حريته أن هو أدى شروطا متفق عليها أو بموت مالك العبد . ويجوز للرجل ان يوصي لعبده بثلث ماله وقد جاء في الحديث الشريف : ((اخوانكم جعلهم الله تحت ايدكم . فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا ما يغلبهم وان كلفتموهم فأعينوهم)).

ولما كان المجتمع العربي الاسلامي يعنى بالشعر والموسيقى ، فقد عظمت قيمة القيان والجواري الموهوبات . فقد كان للمشهورات من حذاق المغنيات أثمان عالية ، ففي عام ٣٢٥هـ اشترى ابن رائق جارية موصوفة الغناء بثلاثة عشر الف دينارا : واعطى دله عليها الف دينار . وكان من ارقى العبيد مكانة حملة السلاح منهم ، فظهر منهم القواد الكبار امثال مؤنس وجوهر ، والحكام امثال كافور وكان في بعض المدن اسواق الرقيق يوكل الاشراف عليها لعامل خاص بها.